مجلة كيرالا

مجلة عربية محكمة نصف سنوية

المجلد ٤ • العدد ١ • ٢٠١٥

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور محمد بشير (المسؤول)

نائب رئيس التحرير

الدكتور تاج الدين المناني

مساعد رئيس التحرير

السيد نوشاد

قسم اللغة العربية، جامعة كيرالا

ترفاندرم، كيرالا، الهند

Majalla Kairala
Vol. 4 • Issue 1 • January 2015

CHIEF EDITOR
Dr. Mohammed Basheer K
Prof. & Head, Department of Arabic, University of Kerala

EDITORIAL BOARD
Dr. Thajudeen AS
Mr. Noushad

ISSN: 2277-2839

© All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission of the authors. The authors are responsible for the views expressed in their articles.

Book & cover design: Nujumudeen
Printed at Printout Valley, Calicut
Published by Dr. Mohammed Basheer K

₹ 300.00

Contact for copies: 04712 308846 / campusarabic@gmail.com

محتويات

الافتتاحية • ٥

أثر أسطورة «أورفيوس» في لغة عبد الوهاب البياتي قراءة نحوية دلالية • ٦
د. فريد محمود العمري

(أن تأكل جيدا ؟!)[1] فيبر و العقلانية الألمانية • ٢٦
د. إسماعيل نوري الربيعي

الثورة الجزائرية في كتابات المثقف الأجنبي "جان بول سارتر" أنموذجا" • ٣٤
أ. بلقاسم عياشي

الحركات ووظائفها الدلالية في النظم القرآني (آيات من سورة يوسف نموذجاً) • ٤٢
الطيب عطاوي

الحكمة وخصائصها في الخطاب الدعوي للشيخ أبي الحسن الندوي • ٤٩
د.محمد مراح

الرياضة في الإسلام • ٥٦
الدكتور حسن تيسير عبدالرحيم شموط

الشيخ مادح الرسول صدقة الله القاهري شاعرا عربيا هنديا • ٦٧
الدكتور.ك.م.ع. أحمد زبير

الخطوط في كتاب الدررالكامنه لابن حجر العسقلاني(ت٨٥٢ ه): دراسة منهجية • ٧٩
أ.د.فاطمة زبار عنيزان

الشيخ وكام عبد القادر مولوي: رائد النهضة الاجتماعية في كيرالا • ٩١
الدكتور جمال الدين الفاروقـي

اللغة العربية بين الفصحى و العامية • ٩٦
السيد نوشاد

بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم (اسم الفعل نموذجاً) • ٩٩
أ.م. د/ السيد محمد سالم سالم العوضي

الفقه السديد في الاقتداء بالنبي • ١٠٦
د. محمد بن عبدالعزيز الجمعان

المثل الموجز في اللغة العربية دراسة في ضوء نظرية السياق • ١٠٩
د. عرفات فيصل المنَّاع

تلقي الشعر في الدرس النقدي قديما وحديثاً • ١١٩
د. حبيب الله على إبراهيم علي

تهيئة المعلم وتأهيله مهنياً في ضوء التحديات المعاصرة • ١٢٩
أ. أيمن هشام عزريل

حياة الشيخ رحمت الله الكيرانوي • ١٤٢
الدكتور أختر عالم

دلالة معاني الحروف الجرِّ الثنائيّة(حرف في) في القرآن الكريم سورة البقرة نموذجًا • ١٤٧
عبدالله عبدالرزاق أولووتويّن

فلسفة التماثل عند محمد مفتاح قراءة في جدلية الوحدة والتعدد • ١٦٣
لخضر حشلافي & حياة ذيبون

قراءة الإمام البوصيري رحمه الله في ضوء قصيدة البردة • ١٦٩
شمير همزة

الأبعاد التاريخية والقانونية لمخطوط غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل • ١٧٥
الدكتور أحمد جعفري

مدينة الشمس وسؤال السياسة • ١٨٦
شريف الدين بن دوبه

مراحل تطور التفكير النحوي العربي • ١٩٤
أ.سعاد شرفاوي

مساهمة المهاجرين الكيراليين في تطور الإمارات العربية المتحدة • ٢٠١
د. نزار الدين

مواهب دعوية لدى الشيخ القَرَضَاوي • ٢٠٥
الدكتور البروفيسور مسعود عالم الفلاحي & الأستاذ محمد نوشاد النوري القاسمي

نظرية الأسلوب في ضوء علم اللغة الحديث قراءة في مقولة جورج بيفون وأثرها في العلماء المتأخرين • ٢٢١
الدكتور عبد القادر شارف

الدلالة الإصطلاحيَّة للفظ"مقبول" عند الحافظ ابن حجر في كتابه "تقريب التهذيب" • ٢٢٧
د.عبدالعظيم خليل عبدالرحمن الدخري

الافتتاحية

الحمد لله رب العالمين O الصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين O

القراء الأعزاء،

إن من أعظم دواعي سرورنا أن استطعنا بإصدار مجلة عربية خامسة التي كانت حلما من أحلامنا منذ فترة طويلة. قد بدأنا نشر هذه المجلة في ٢٠١٠م ولكن قد توقف في بعض الأحيان بسبب الظروف الداخلية. وبفضل الله وكرمه اقتدرنا الآن أن نقدم أمام القراء الأعزاء مجلة محكمة أكادمية نصف سنوية (الرقم الدولي: ٢٢٧٧ - ٢٨٣٩) باسم 'مجلة كيرالا' ونرجو من الله – عزوجل - له الشكر والمنة - التوفيق على متابعة إصدارها بدون توقف في في المستقبل.

المقالات التي اخترنا لهذا العدد متعلقة بالأدب خاصة بالأدب العربي والثقافة والأمور الاجتماعية. وما كان هناك أي اختصاص في هذا العدد وفي العدد القادم في يوليو ٢٠١٥م – إن شاء الله، وبعد ذلك نريد أن نخصص كل عدد بأي موضوع خاص الذي تختار هيئة التحرير. أرجو من القراء الإرشادات القيمة عن هذا الأمر.

نحن متيقنون بأن هذه المجلة ستكون آلة كبيرة ومعينا مهما لرفع مستوى تعليم اللغة العربية في كيرلا للمعلمين والمتعلمين. نحن نهدف حفظ القوانين العامة المتبعة في مجال تعليم أي لغة يعني: الاستماع والتحدث والقراءة ثم الكتابة.

وبكل غبطة وسرور نحن في أداء الشكر للمتساهمين عليها بمقالاتهم القيمة. والمرجو من القراء الكرام أن يرشدونا بإرشاداتهم القيمة وأن يساهموا بمساهماتهم الأدبية الخالصة. نقدم أمام القراء الكرام هذا العدد الخامس للمجلة سائلين المولى عزوجل أن يوفقنا لإحياء لغة القرأن ولنشر لسان رسول رب العالمين.

والله ولي التوفيق

الدكتور محمد بشير	**د. تاج الدين المناني**	**السيد نوشاد**
رئيس قسم اللغة العربية (المسؤول)	نائب رئيس التحرير	مساعد رئيس التحرير
جامعة كيرلا، كارياواتام	أستاذ مساعد	أستاذ مساعد
كيرلا - الهند	قسم اللغة العربية، جامعة كيرلا	قسم اللغة العربية، جامعة كيرلا

الأعداد السابقة

رقم التسلسل	التوقيت	تصريحات
١	يوليو ٢٠١٠	
٢	يناير ٢٠١١	
٣	يوليو ٢٠١١	الخاصة بالمؤتمر
٤	يوليو ٢٠١٤	الخاصة بالمؤتمر

مدينة الشمس وسؤال السياسة

شريف الدين بن دوبه
أستاذ مِساعد شعبة الفلسفة جامعة سعيدة الجِزائر

اقترنت لحظة البداية الحضارية لبني البشر بنموذج المدينة (police)، فقد تجسّد الأمل في الرقي الحضاري والتسامي في نظام المدينة، حيث نلمس ذلك في ظاهرة الحلم بالعيش داخل المدينة من قبل البدو، ونجد ذلك مثلا في إشارة ابن النفيس لتعالي المدينة، ورفعتها في الرسالة الكاملية المتعلّقة بالسيرة النبوية، فميلاد النبي الاكرم محمد (ص) في مدينة مكة إشارة صريحة لرفعة المدينة، ولسنا نقصد بذلك الحطّ من شأن البداوة، على حساب المدنية، بل نرغب في التنبيه الى الاقتران الكلاسيكي في تاريخ الفكر بين المدينة والحضارة.

ولكن المدينة النموذجية التي طمح اليها الإنسان لم تتجسّد بعد على أرض الواقع بعد، ودليلنا في ذلك الحركة المستمرة نحو افق الكمال، وظهور المدن الطوباوية، المثالية، الخيالية، والتي عرفت كثيرا من التوصيفات التي تميزت أحيانا بطابع التعارض، ومدينة الشمس التي سنقف عندها من بين هذه النماذج المدنية المطلوبة.

يوتوبيا. ايتوبيا:

يظهرمن خلال بناء كلمة ايتوبيا الصوتي، واللفظي الطابع الغرائبي للفظ ايتوبيا على المؤسسة اللغوية العربية، على غرار كثير من الألفاظ مثل كلمة «فلسفة « وجميع أفراد عائلتها، والذين يجدون شجرة النسب ومرجعية الانتماء ممتدّة ومستمدّة من لغة وثقافة الإغريق، إذ أن تاريخ النحت الاصطلاحي للكلمة «ايتوبيا» يقترن باسم الفيلسوف الانجليزي «توماس مور» و بكتابه المعنون بـ «» ايتوبيا «» والذي ضمّنه رحلة بحار اسمه رافائيل هتلوداي لجزيرة اسمها ايتوبيا، تعيش في ظل نظام اجتماعي محكم التأسيس والتسييس.

والمرجعية الايتيمولوجية التي اعتمدها توماس «مور « في تواضعية المصطلح إذن اغريقية بحته، فهي مركبة من ou وتعني no أي اللا، وtopos تعني أي مكان place، والكلمة تعني no place أو No where، وتصبح اليوتوبيا: ليست مكانا، أو اللامكان[٢]، ورغم ان البعض من المختصين في الدراسات اليوتوبية يعتقد أن لفظة ايتوبيا هي ترجمة للفظة اللاتينية «nusquama» المشتقة من «Nusquam =le nulle –part) والترجمة الحرفية للمصطلح تشير إلى أن دلالة الكلمة هي « اللامكان « أو لا مكان له « أو ما لا أين له « ومعناه المكان الذي لا وجود له في أي مكان»[٣].

كامبانيلا و مدينة الشمس

توماسو كامبانيلا ١٥٦٨-١٦٣٩ راهب وفيلسوف وشاعر، ومنجِّم ايطالي، انتسب إلى النظام الدومينيكاني، « حيث أتيحت له فرصة إرواء عطشه اللامحدود إلى المطالعة، حيث قرأ دون تمييز أعمال الفلاسفة، والأطباء، والرياضيين، والقانونيين، والسياسيين، واللاهوتيين، والإنسيين والشعراء، وعلماء البيان، والبلاغة، من قدامى ومحدثين.. ولم يتأب عن مطالعة مؤلفات في العلوم الخفية والتنجيم، بل السحر أيضا، واستطاع أن يتمثل كل ما كان يطالعه بفضل ذاكرته وقدرته التفكيرية الاستثنائية»[٤]

بدأ حياته كاتبا ومؤلّفا، ولكن سرعان ما اصطدم بمحاكمات، انتهت بأكثر من عقوبة واحدة في عاد ١٥٩١،حكم عليه بالحبس في نابولي بسبب مؤلف له مشهور عن الإثبات الفلسفي، بعد ذلك تعاقبت المحاكمات عليه، وفي عام ١٥٩٧ قدِّم للمحاكمة مرة أخرى بسبب أفكاره حول مثاليته، وبسبب دفاعه عن الجمهورية التيوقراطية، ومهاجمته للكنيسة، وحوكم مرة

ثانية عام١٥٩٩.

تظاهر بالجنون،ورغم تعذيبه طويلا، فقد ظلّ على موقفه حتى صدر الحكم بالسجن المؤبد في عام ١٦٠٢ وظل في السجن طوال ٢٧ عاما،دون أن يتغيّر موقفه، ودون أن يتساهل في آرائه وأفكاره جاعلا من فلسفة الوحدة السياسيّة في الجنس البشري، مبدأ مطلقا يفسر فلسفته في الحركة، وخلال وجوده في السجن لن تنقطع كتاباته، ومراسلاته مع العالم الخارجي.

وفي سنة ١٦٢٦ استطاعت الحكومة الاسبانية أن تحرّره من السجن، وفعلا انتقل إلى روما حيث سمح له البابا اوروباتو الثامن بالإقامة ومزاولة نشاطه الفكري من جديد، فعاد يدافع عن فكرة الوحدة جاعلا من فرنسا محور تصوره للعالم السياسي الجديد، وعلى هذا الأساس، ساعد سفير فرنسا كامبانيلا على مغادرة ايطاليا حيث قضى بقية حياته في باريس،تحت حماية ملك فرنسا لويس السادس عسر،إلى أن توفي في ١٦٣٩.

ترك كامبانيلا مجموعة ضخمة من المؤلفات الفلسفيّة والسياسيّة تصل إلى حوالي ثلاثين كتابا، أهمّها كتاب «مدينة الشمس»، والذي سنعتمده في دراستنا كسؤال فلسفي للسياسة، يعرض فيه أفكاره الاجتماعية ناحيا منحى أفلاطون في الجمهورية وتوماس مور في يوتوبياه، وكتاب:» دلالة الأشياء والسحر» الذي عرض فيه آراء تليزيو يعرِّف فيه السحر بأنه فن استخدام قوى النجوم وتأثير الإرادة الإنسانية في الطبيعة[٥]، وهذا الموقف يضعه في موقع التناقض والمفارقة مع غاليلي، وقد تضمّن الكتاب « دفاع عن غاليليو» الذي كتبه في سنة: ١٦٢٢ تصوُّرات حول الحرية الفكرية التي كانت عنوانا لعصر النهضة، حيث دعا فيه الكنيسة إلى ترك الحرية للبحث القائم على التجربة، لأن كتاب الطبيعة إذا درس درسا عميقا بان متَّفقا مع الكتاب المقدس.[٦] أما كتابه « في الفلسفة العامة أو الميتافيزيقا « فيلتقي فيه مع ديكارت إلى حدٍّ بعيد، ويقيِّم فيه آراءه وآراء تيليزيو على أساس عقلي.

تقوم فلسفة كامبانيلا العامة على ثلاثة مبادئ الفلسفة أداة التجديد للضمير الإنساني، بكل دلالاتها الأخلاقية والدينية، الوجود السياسي يتمركز حول ثلاثية فلسفية هي السلطة، الحب والحكمة.الدولة المثالية هي تلك المدينة التي يمكن أن توصف بأنها جمهورية، يسيطر فيها مبدأ النوعية على جميع عناصر الوجود الاجتماعي.

مدينة الشمس

يجسّد كتاب مدينة الشمس، ويؤرِّخ لحياة الفيلسوف أكثر مما يعبر عن الفكرة الحقيقية والمشروع السياسي الذي كان كامبانيلا يطمح إليه، فالطبعات التي تزامنت مع وجوده في هذا العالم، تعرضت لتنقيح وزيادات ارتبطت بمداراة كان من اللازم القيام بها للحفاظ على حياة الفيلسوف، وعليه فالنسخة الأولى التي كتبها كما تقول ماريا لويزا برنيري في شبابه عندما كان جسده مقيّدا وعقله لا يزال حرا»[٧]هي اصحّ نسخة وأقرب إلى عقل كامبانيلا وقلبه.

ويصوِّر عنوانها فكرة إصلاح الجمهورية المسيحية طبقا للوعد الذي وعد به الله القديسة كاترينا والقديس بردجيه يستخدم كامبانيلا الحوار بين الفارس هوسبيتالر وبحار من جنوة يصف المدينة المثالية التي زارها خلال إحدى رحلاته، وتقع مدينة الشمس بالقرب من تابروبان،فوق سهل مترامي الأطراف، وهي مقسَمة عل هيئة دوائر، لكل دائرة أربع أبواب، وللوصول إليها يجب المرور عبر أربع شوارع، ويوجد معبد في مركز الدائرة.

والملاحظ أن هندسة أو مخطط المدينة أقيم بدافع أمني بحت وهو حماية المواطنين من الغزوات والاعتداءات الخارجية، فالأمن من القيم الأخلاقية الأساس التي تقوم عليها المواطنة، فغياب الأمن والأمان داخل الوطن يفقد المواطن القدرة الأولية لممارسة حقوق المواطنة، فالخوف عن الذات والأهل يدفع المواطن إلى التفكير فقط في الآليات اللازمة للحماية، وتصبح الحقوق الأخرى للمواطنة ثانوية، ولا نجد في التراث السياسي أحسن توصيفا من تلك القصة الفارسية التي تظهر أهمية الأمن في بناء الدولة فعند وفاة الملك يترك الناس لأشهر دون ملك، كيما تشيع الاعتداءات والانتهاكات حتى يشعر المواطنين بضرورة الحاكم وضرورة امتلاكه جميع الصلاحيات،ويكون

الأمن قيمة وورقة بيد الحاكم.

العوامل السياسية كامنة وراء كتابة كامبانيلا (مدينة الشمس) فمعاناته وشعوره بالاستلاب، وغياب حق الحرية الذي تقوم عليه فلسفة المواطنة في المجتمع السياسي أو المدني، كانت من وراء التفكير في الكتاب الذي كان مشروع إصلاح سياسي، وانتقاده لأرسطو جعل من فعله جريمة لا تغتفر في عرف الكنيسة آنذاك، فاتهم من خلالها بالزندقة والهرطقة، والدليل في ذلك محاولته في ممارسة الفعل الإصلاحي، حيث شارك في المؤامرة لطرد المحتلين الأسبان، أما العوامل الدينية فهي إيمانه واعتقاده القوي في الخوارق والتنجيم الذي هو نوع معرفي غير مقبول من طرف المؤسسات الدينية لحد الساعة.

وما يمكننا قوله أن الاعتقاد بأفكار حرة تجاوزية للواقع السائد تشكل مشكلة، فالمعاناة الفكرية والوجدانية التي يعيشها المبدع الحرفي عصر الظلامية، لا يمكن إدراكها بنفس التجربة التي كان يعايشها صاحبها.

الهيكلية السياسية والإدارية لمدينة الشمس

قمّة الهرم السياسي لمدينة الشمس تظهر في الملك العادل الذي يسمى (لديهم أمير مقدس يسمى (o)[٨] والذي يكتب عند ول ديورانت بهذا الشكل Hoh[٩] والذي معناه في لغتنا (البحار) الميتافيزيقي وهو رئيسهم الروحي والزمني ويرجع إليه في كل الأمور.[١٠] فهو رأس السلطة السياسيّة والإدارية لهذه المدينة، فهو:» ميتافيزيقي من جنس الكاهن الأعلى، يملك العلم الكلي والسيادة المطلقة،والذي يقترب أو يشبه في الميتافيزيقا الجوهر الأول..»[١١]، وصلاحياته الدستورية ليست مطلقة.

السلطة السياسيّة موزعة بين مجموعة من الهيئات، تتركب من مجلس استشاري يقوم بمساعدة الحاكم في تسيير شؤون البلاد، ويمكن اعتبارهم باللغة السياسيّة المعاصرة وزراء، أو بلغة النظام الملكي أمراء، وهم:

وزير القوة المكلّف بشؤون الحرب والسياسة، سواء كانت سلطة القرار، أو الاهتمام بشؤون الحكام العسكريين والمحاربين، والجنود والذخيرة، والتحصينات.

ووزير أو أمير المعرفة (الحكمة) Sapience والمسئول عن جميع العلوم، وعن الدكاترة،والأساتذة المتخصصين في الفنون الحرة والآلية، ويسا عده عدد من المشرفين أو القضاة مساو لعدد العلوم، وهم المنجِّم، وعالم الكونيات الكوزموجرافيا، والعالم في الهندسة، والفيزياء، والبلاغة،والنحو،والطبيب والعالم في السياسة والأخلاق، ولهؤلاء العلماء كتاب واحد وهو كتاب الحكمة يقرأ على الشعب كله حسب تقليد الفيثاغوريين.ويمكن القول أن سلطة المعرفة شبه حاليا جميع الوزارات المتعلقة بالتعليم والتكوين المعرفي سواء كان مرحليا أو تعليما أكاديميا.

أمير الحب مسئول عن الشؤون الاجتماعية والأسرية، وتنظيم العلاقات بين المواطنين، وعليه فالنظام السياسي في مدينة الشمس يتركّب من الحاكم الأعلى» الشمس»، ثم يليه في التراتبية أمير القوةPon، وأمير الحكمة Sin وأمير الحب Mar.

يمثّل هؤلاء الهيئة التنفيذية، وبجانبها» توجد جمعيتان تشريعيتان إحداهما تتألّف من رجال الدين ولها سلطة التشريع، والثانية تتألّف من جمهور الشعب ولها حقّ الفصل في أمور السلم والحرب وإقرار القوانين»[١٢].

الأخلاق و المواطن

يصوِّر كامبانيلا العلاقة بين الحاكم والمحكوم بأسلوب فني رائع وجميل، تظهر فيه قدرته التصويرية، ومعرفته العميقة بالبنية السيكولوجية للمجتمع أو الشعب، فيقول:

« الشعب دابة لها مخّ مشوش غبي، لا تعرف قوّتها، ومن ثم تقف محمّلة بالخشب، والحجارة، تقودها يدان هزيلتان لطفل بالشكيمة واللجام، إن رفسة واحدة تكفي لتحطيم القيد، ولكن الدابة تخاف وتجبن، وتفعل ما يطلبه الطفل،ولا تدرك قدرتها على إرهابه،وأعجب من هذا أنها تكبل نفسها،وتكمّم لسانها بيدها، وتجلب على نفسها الموت مقابل دريهمات يتصدق بها الملوك عليها من خزانتها هي، إنها تملك كل مابين الأرض والسماء، ولكنها لا تعرف ذلك، وإذا هبَّ إنسان لينطق بهذه الحقيقة، لقتلته دون أن تغفر له ذنبه»[١٣].

السياسة والأخلاق عند كامبانيلا من سنخية واحدة،

لا يمكن الفصل بينهما، فهي ليست علما قائما بذاته، يتسم بالطابع التجريدجي، والملمح المتعال عن إمكانية التمثل، والتجسيد الواقعي، بل هي قائمة على محبة الإنسان لنفسه بالمعنى المتقدم، ومحبته للمجتمع الذي هو شرط أساسي في وجوده، وقد تجلى حلم كامبانيلا في الرغبة في إيجاد إمبراطورية كبرى، يسيّر شؤونها مجلس من الملوك بإرشاد البابا، وأفضل تنظيم هو النظام القائم والمبني على أساس العلم الطبيعي والفلسفة، فيتولى شؤون السياسة والتدبير العلماء والفلاسفة.

ومن خلال المعطيات السابقة يبدو أن النظام السياسي موزع بطريقة تقوم على منطق العقل والعلم،فترأس شخص هرم السلطة مسألة ضرورية،ولا يمكن الاستغناء عنها،كما أن الحاكم الأعلى ليس مستبدا بالصلاحيات الإدارية بل هي مقسمة بالعدل على الأمراء الثلاث « أمير الجيش، وزير الدفاع، أمير الفكر، الحكمة، أمير الحب.

يظهر الفضاء التعددي في التركيبة السياسيّة لمدينة الشمس، فالحرية السياسيّة موجودة في المشاركة السياسيّة التي يقوم بها المواطنين، فالحرية ليست هي العمل وفق الأهواء، فصرامة القانون ضرورة لازمة للتسيير السياسي؛ وقد قامت الأستاذة عطيات أبو السعود بتصوير هذه الصرامة فتقول:» ننتقل الآن من الحرية الليبرالية، وتسامح الأديان في يوتوبيا توماس مور إلى الوجه الآخر لهذه الحرية، إلى النظام الصارم الذي يضع كل شيء في موضعه[١٤]

أسلوب الصرامة في التعاطي مع المواطنين أدى إلى تعدد التأويلات لفكر (كامبانيلا)، ومواطن مدينة الشمس يمارس المواطنة في أعلى صورة وهي تغيير الحاكم والأمراء، يقول ويل ديورانت:»..وكل موظفيها صفوة مختارة، وهم قابلون للعزل عن طريق جمعية وطنية تضم كل من بلغ العشرين من سكان المدينة، وهؤلاء الموظفون المختارون على هذا الأساس، يختارون بدورهم رئيس الحكومة الكاهن الذي يسمى (هو Hoh)...)[١٥] والرؤساء الثلاثة عشر يجتمعون برئاسة الميتافيزيقي كل ثمانية أيام للبتّ في تعيينات رؤساء المقاطعات أو دوائر المدينة، أما الأمراء الثلاث عشر فينتخبون في اجتماع عام يحضره الجميع رجالا ونساء....)[١٦].

ويشير كامبانيلا أن شروط الحاكم الأعلى ليست معطاة للجميع، يقول:»لا يستطيع أحد أن يصبح (o) إذا لم يكن ملما بتواريخ الشعوب وطقوسها وقرابينها وقوانينها، ثم يجب أن يكون على دراية بجميع الفنون الآلية، وأن يتعلم منها كل يومين فنا جديدا، وعليه أن يعرف جميع العلوم كالرياضيات والفيزياء والتنجيم،كما أنه ليس في حاجة إلى معرفة اللغات لأن لديه مترجمين... كما أنه يجب أن يتخطّى الخامسة والثلاثين لكي يتسنّى له الحصول على مثل هذا المركز وأن يستمر في شغل منصبه حتى يتم العثور على رجل يفوقه علما وقدرة على النهوض بأعباء الحكم..)[١٧]، فالحاكم يملك جميع الصلاحيات مادامت الشروط متوفرة فيه، وإذا غابت وجب عزله و إقالته، وهذا هو جوهر المواطنة، ومن الإشارات اللطيفة الواردة في كتاب مدينة الشمس عن الوطنية والمواطنة، ما جاء في ثنايا الحوار حول المشاعية، فإذا كان كل شيء مشاع، والضروري متوفر للجميع، فلم العمل، وما الغايات التي ستحرك المواطن نحو العمل ؟يبدو أن بداية الحوار تبدأ بالإقرار بالعجز عن مناقشة الفكرة، والجواب كان أن الدافع إلى العمل والاجتهاد هو الوطنية أو المواطنة:» لا يمكنني أن أناقش هذه الفكرة،وكل ما أستطيع أن أقوله لك هو أنهم يحبون وطنهم حبا صادقا عجيبا، بل إن حبهم لوطنهم أعظم من حب الرومان لبلادهم،لأنهم ذهبوا في التخلي عن الملكية إلى حد أبعد منهم بكثير، وأعتقد أن القسيسين والرهبان، عندنا لو استغنوا عن العائلات والأصدقاء،وعن أي طموح إلى المناصب العليا، لأصبحت ملكياتهم أقل مما هي عليه وتشربوا بروح القداسة والإحسان للجميع» فالمواطنة هي إقصاء كل انتماء للذات، ولغير الوطن، والحياة من أجل الوطن فقط.

وتعتمد الممارسة السياسيّة أساسا على القيم الأخلاقية، وتطبيق ومراقبة ممارسات المواطنين لمدى التزامها بالقيم أو انحرافها عنها، يقول B. Malon:» التدخل الحكومي ليس له حد لأن جميع القيم الأخلاقية مطلوبة،فالقانون منح هذه القيم بعدا أو صيغة

رسمية،فحتى القضاة يعينون طبقا للسلم الأخلاقي فالشهامة أو الأريحية و الشجاعة، العفة، الكرم،العدل و الإنصاف،الحذق،الحقيقة..[١٨]

ومنه يتبين لنا أن الدلالات الأخلاقية المتضمنة في اليوتوبيات هي مصدر استقى منها رجال السياسة مبادئهم أو بالأحرى شعاراتهم،فالمفكر Villegardelle المترجم الوفي لتوماس مور، وكامبانيلا يصرِّح بأن مدينة الشمس أعلى من اليوتوبيا لتوماس مور [١٩]

المعرفة عند كامبانيلا رأس القيم التي ينبغي التحلّي بها، لدرجة تصل بالمواطن إلى عبادة المعرفة،فالمعرفة بجميع العلوم فريضة،لأن الارتقاء الإنساني لا يتم إلا بها فهي القوة التي تمكننا من التحكم في الطبيعة، كما أن لغات التواصل العالمي ينبغي على مواطن مدينة الشمس التمكن منها جميعا، يقول كامبانيلا:(..وقد أظهرت تعجبي من معرفتهم الواسعة بالتاريخ، فأخبروني أنهم يعرفون لغات كل الأمم، لأن من عادتهم إرسال السفراء إلى جميع بلاد العالم لتعلم ماليها من خير أو شر، وقد حصلوا من ذلك فوائد جمة...)[٢٠]،فالغاية من المعرفة،والتمكّن من لغات العالم،هي المعرفة أو العلم بالتجارب الأخلاقية للأمم.

تشير الظروف التاريخية لفكرة المشاعية، الى امتعاض المجتمع البشري خلال حركته التاريخية من الملكية الفردية، ومن النتائج السلبية التي استتبعتها، فالمشاعية في التصور الأفلاطوني متعلقة بالمسألة الجنسية أما عند كامبانيلا فتتجاوز المسائل الجنسية إلى المجد والمال والمعرفة واللذات،يقول كامبانيلا: (كل الأشياء مشتركة بين السكان، ويقوم القضاة بالإشراف على إدارتها، ولا يقتصر الاشتراك على الطعام، بل يشمل المعرفة والمباهج والمسرات وأوجه التشريف والتكريم، بحيث لا يستطيع شخص أن ينفرد بتملك أي شيء..[٢١]

فالملكية الفردية رأس الخطايا وأم الآفات الاجتماعية، فالتفاوت في ملكية الأشياء يخلق حالات الحرمان وبالتالي تتولد الجرائم،فالغنى والفقر ليس جبرية فوقية لاهوتية بل هي جبرية إنسانية،وفي الفقرة التالية يبرر كامبانيلا تصور المشاعية:»..إن الملكية...هي الأصل في حب الذات، فالأب الحريص على أن يهيئ لابنه الثروة والترف، إما أن يسعى للاستحواذ على الثروة العامة، وذلك إن كان قويا وجريئا وإما أن يصبح جشعا ومنافقا إذا كان ضعيفا، ولو جرد الناس من حب الذات لما بقي إلا الحب الذي يجمع بين أعضاء المجتمع)،ولذا نجد مؤرخو الفكر الاشتراكي يضعون كامبانيلا في مصاف رواده على قاعدة المشاعية المطروحة في مدينة الشمس.

يلتقي كامبانيلا مع أفلاطون في مسألة اختيار المرأة لإنجاب مواطنين صالحين، ولكنه يمنح صلاحية هذا الاختيار لأمير الحب الذي يشرف على زواج الجنسين ليستوثقوا من أنهم يتصلوا بعضهم البعض لينجبوا أحسن الذرية،فسكان مدينة الشمس كما ورد في الحوار يسخرون من الآخرين الذين يهتمون بنتاج الخيل والكلاب،ويهملون نسل الإنسان، ومن الأولى التفكير في النوع وكماله لأنه المجسد الحقيقي لله في الأرض، كم أن القضاة في مدينة الشمس حددوا للزواج أو اللقاء الجنسي سنا معينة فهو للرجال ٢١ سنة وللنساء١٩ سنة [٢٢]،فالتحاد أو اللقاء الجنسي ليس الغرض منه فقط الحفاظ على النوع أو تحسينه بل أيضا لتحسين العمل الجماعي، فعلى حد تعبير بول جانيه: يجعل كامبانيلا من مهام القضاة مراقبة العلاقات الطبيعية الحرة للنوع البشري، ويكلف شرطة مستبدة ومتسلطة وفضولية بمتابعة العواطف الشخصية،إذ تجاهل حقوق القلب والكرامة الفردية..)[٢٣].

تحتل العلوم المكانة الرئيسة في التربية والتعليم في مدينة الشمس، إضافة إلى العمل اليدوي،وفلسفة التربية تقوم على أسس فنية رومانسية،فالتصوير على رأس الديداكتيك البيداغوجي في هذه المدينة،فالتدريس بالعرض أو بما نسميه حاليا المجلات الحائطية يعتبر وسيلة ناجعة في تكوين المتعلّم،فالعين أو الملاحظة الحسية هي نافذة مواطن مدينة الشمس نحو المعرفة ونحو آفاق الكون، ويتولى التدريس أو التكوين المرحلي أربعة من الشيوخ الذين يتولون التدريس.. وفي سن السابعة يتعرفون على المعارف أو المهارات الحركية ثم يتعلم كل فرد جميع أنواع الفنون..وبعد بلوغ الثالثة من العمر يتعلم الأطفال اللغة وحروف الأبجدية بالمشي

حول الحوائط في أربعة صفوف يقودهم أربعة من كبار السن الذين يتولون التدريس لهم، ويعودون حتى سن السابعة...ويؤخذون في جولات حول الورش الخاصة بالحرف المختلفة كالخياطين والنقاشين والصائغين لكي يكتشفوا ميولهم واستعداداتهم.

فالتربية على حب الوطن تبدأ بتكوين القاعدة المعرفية للمواطن وليس التجهيل، لأن خطر الجاهل أكبر من خطر العارف أو العالم،ومراعاة القدرات فيحد ذاته عدل وإنصاف.

العمل والمعرفة هما عماد مجتمع المدينة التي أسسها كامبانيلا في فكره قبل أن يجسدها في كتابه، ومعاناته مع التعذيب الذي رافقه طيلة حياته، والذي استمر في إحدى الحالات مدة أربعين ساعة[٢٤]، فالعمل دون معرفة جنون، والمعرفة دون عمل عبث.

أشاد كامبانيلا بفضل العمل الإنساني ونعى على هؤلاء الذين يأكلون من عمل غيرهم، فهؤلاء في الدولة أشبه بالعقيمات، فالعمل واجب على كل مواطن،ولكن مراعاة الاستعدادات والفوارق الفردية والجنسية ضروري لتحقيق الإنصاف، فعمل الأنوثة يختلف عن عمل الرجال، فيجب إذن أن يكلف كل مواطن بالعمل الذي يناسب استعداده، لأن العمل فضيلة إنسانية،ولا يجب أن ننظر إلى مقامات الرجال ودرجاتهم الاجتماعية، فهذه تحدّد بالعمل والخدمات في سبيل المواطنين،كما تطرق كامبانيلا لمسألة توزيع الإنتاج، فالكل له الحق في الإنتاج بحكم المواطنية، ولكن التوزيع خاضع لمقاييس العدل والإنصاف، فدرجة المساهمة في العمل الاجتماعي تشكل معيارا في عدالة التوزيع، ومتى كان العمل مفروضا على كل مواطن، والإنتاج موزعا بحيث يكفل إسعاد كل مواطن، انتفت في المجتمع غرائز الأنانية وحب الأثرة وقوى التضامن المادي والروحي بين أعضائه.ومتى اطمئن المواطنون إلى تحصيل أرزاقهم وتوفر لهم ما أرادوه، انصرفت جهودهم إلى تحصيل العلم والمعارف والى التفلسف والمساهمة بنصيب فعال في الشؤون السياسيّة والاجتماعية.

على العموم يعتقد البعض من رجال الفكر والسياسة أن اليوتوبيا تقوم على إنكار سلامة المجتمع القائم والتشكيك في إمكانية إصلاحه. ومن هذه الزاوية فهي تنطوي على مشروعات نظرية منفصلة عن الحقائق الاجتماعية القائمة والتطور التاريخي الذي قاد إليها، فهي تتعامل مع النظام الاجتماعي في لحظة معينة كحقيقة مستقلة عن زمانها ومكانها وتاريخها، أي بكلمة أخرى، منفصلة عن حقيقتها كتجمع إنساني ذي هوية تاريخية،فهي لا تنظر أبداً إلى «الإمكانية» الفعلية لتحول المجتمع المنظور إلى مدينة فاضلة طبقاً للتصور المقترح إذ يميل أكثر دعاة المدينة الفاضلة إلى اعتبار الطبيعة الإنسانية فاضلة، وأن ما يعرض للفرد من آثام هو ثمرة للظروف الاجتماعية.وهذا ما نلاحظه في كتاب: يوتوبيا للسير توماس مور، وإذا جرى استبدال هذا المجتمع بمجتمع جديد فاضل، فسوف يزول الإثم وأسبابه من حياة الجماعة بصورة أوتوماتيكية.

يعتقد هؤلاء الدعاة أيضاً بأن الإنسان مؤهل لبلوغ درجة الكمال، وينادون بضرورة إصلاحه وتمكينه من بلوغ تلك المرتبة. طبقاً لهذه الرؤية فإن غرائب حياة الإنسان وما تنطوي عليه من نوازع شريرة ليست جزءاً من طبيعته الإنسانية. وهم ينادون بهذه الرؤية في مقابل تلك التي تقول بأن طبيعة الإنسان وجوهره ينطوي على نوازع الخير والشر معاً كما ينطوي على أسباب السعادة وأسباب الشقاء،وأن تغيّر شروط الحياة في بيئته الاجتماعية يمكن أن تخفف من النوازع الشريرة في الإنسان، أو تزيد نزوعه إلى الخير والفضائل لكنها لا تغيّر أبداً من جوهر الطبيعة الإنسانية التي تظل على الدوام قابلة لسلوك طريق الخير بمثل ما هي قابلة لسلوك الطريق المعاكس.

لا يأخذ المثاليون بهذه الرؤية ولا يقبلون بما يترتب عليها. بل يرون أن تغيير الظرف الاجتماعي سوف يؤدي إلى اقتلاع أسباب الإثم والشقاء نهائيًّا، أي عودة الإنسان إلى ما يعتبرونه جوهره الأصلي الفاضل والخيِّر وبناء على هذه الرؤية فقد انشغل المثاليون ودعاة المدينة الفاضلة بالهدف، أي تغيير المجتمع، وركزوا على الإدارة والقيادة بوصفهما العامل الحاسم في الإصلاح. وقد قادهم هذا التركيز -كما هو متوقع- إلى إغفال موضوع

الإصلاح ووسيلته الأساسية، أي الإنسان، وما ينطوي عليه المجتمع الإنساني من مشارب متنوعة، ورؤى مختلفة وتجارب متباينة. يمكن القول -مجازاً- إن المثاليين قد نظروا إلى المجتمع الإنساني كقالب جامد يتكون من أجزاء متماثلة الصفات والخصائص، وقابلة للتبديل والتعديل على يد الفئة الأصلح أو الأكمل. ومن هذا المنطلق فقد وفّرت النظريات الفلسفيّة المثالية التبرير المناسب للنظريات والمناهج السياسيّة الشمولية، ونعتقد أن الخطاب اليوتوبي هو خطاب إنسان مابالقوة لإنسان ما بالفعل،فالإنسانية الحقيقية والفعلية تتسّتر في الخطاب اليوتوبي بجميع أشكاله رواية، قصة، رسم، سينما..معبِّرة أولا عن الرفض والكبت الذي مارسه من يشترك في الصفات الخلقية ضد الآخر، فهو لا يعبّر فعليا إلا عن الكائن الحيواني،فمن وظائف اليوتوبيا الوعي بال ليس – بعد ′ فهي على حد تعبير الأستاذة عطيات أبو السعود رسم ما قد كان وما يزال جديرا بأن يبقى في المستقبل، وهي تفصح عما لم يتكشف في الماضي.[٢٥]

فالمثل والقيم الأخلاقية تشكل الدافع الرئيس لكتابة جميع اليوتوبيات، فهي القانون بلغة السياسة، والسياسة هي الأخلاق أو الايتيقا بلغة الأخلاق، وبما أن العنف أو التسلُّط الممارس من قبل المؤسَّسات الثقافية دينية كانت أو سياسيّة كان عوامل إبداع لليوتوبيا فإن جميع اليوتوبيات مهدت لظهور مبدأ المواطنة في العهد الحديث والمعاصر، وفي الأخير يمكن القول أن القيم الأخلاقية لا تنفصل عن قيم الجمال، ولا عن قيم الحق، واليوتوبيات فن التعبير عن الأمل بالسعادة في عصر اليأس والاغتراب، فكل جميل يعود إلى اليوتوبيا.

المصادر والمراجع

عطيات أبو السعود، الأمل واليوتوبيا عند بلوخ منشأة المعارف الإسكندرية الطبعة الأولى ١٩٩٧.

مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦ (د.ط)

ماريا لويزا برنيري المدينة الفاضلة عبر التاريخ ترجمة عطيات أبو السعود، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٢٥ الكويت ١٩٩٧

ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الثاني. المجلد السابع ترجمة فؤاد اندراوس، دار الجيل، بيروت. (د.ط)

يوسف كرم،تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة ١٩٨٦

جميل صليبا، المعجم الفلسفي الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت.١٩٨٢ (د،ط)

عبد العزيز لبيب، الايطوبيا والايطوبيات، مجلة فصول المجلد السابع العدد: الثالث والرابع سبتمبر١٩٨٧

المراجع بالفرنسية

Tommaso Campanella.La Cité du soleil. Traduction française Arnaud tripet. Librairie Droz Genève.5eme tirage 2000

Janet. Paul.Histoire de la Science Politique. Tome second.librairie philosophique de ladrange.2edition, Paris, 1872

Léon Blanchet Campanella librairie Félix Alcan paris 1920

الحاشية

١ أستاذ مساعد شعبة الفلسفة جامعة سعيدة الجزائر

٢ جميل صليبا، المعجم الفلسفي الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت.١٩٨٢،ص٢٤.(د،ط)

٣ عبد العزيز لبيب، الايطوبياوالايطوبيات، مجلة فصول المجلد ٧ العدد: الثالث والرابع سبتمبر١٩٨٧ ص:١٢٣

٤ جورج طرابيشي،معجم الفلاسفة،دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٧ ص: ٥١١

٥ يوسف كرم،تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة ١٩٨٦ ص:٣٧

٦ المرجع نفسه، ص:٣٧

٧ ماريا لويزا برنيري، المدينة الفاضلة عبر التاريخ ترجمة عطيات أبو السعود، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٢٥ الكويت ١٩٩٧ ص:١٢٥

٨ المرجع نفسه ص:١٢٨

٩ ديورانت، ول قصة الحضارة، ج:٢ مجلد:٧ ترجمة فؤاد اندراوس، دار الجيل، بيروت،ص:٣٠٣ (د.ط.ت)

10 Tommaso Campanella, La Cité du soleil, traduction française Arnaud tripet, Librairie Droz Genève,5eme tirage,2000 P:6

11 Janet, Paul,Histoire de la Science Politique, Tome second, librairie philosophique de ladrange, 2 edition, Paris, 1872, p256

١٢ مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه،الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦ ص:١٨٢ د.ط

١٣ ول ديورانت،قصة الحضارة ج:٢ مجلد:٧ ترجمة فؤاد اندراوس، دار الجيل، بيروت، ص:٣٠٢ د.ط.ت

١٤ عطيات أبو السعود، الأمل واليوتوبيا عند بلوخ منشأة المعارف الاسكندرية،ط:١ ١٩٩٧ ص:٦

١٥ ول ديورانت، المرجع نفسه، ص: ٣٠٣

16 Léon Blanchet, Campanella, librairie Félix Alcan, PARIS, 1920, P 499.

١٧ ماريا لويزا برنيري المدينة الفاضلة عبر التاريخ ترجمة عطيات أبو السعود، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٢٥ الكويت ١٩٩٧ ص ١٣٣

18 Malon B, Précis historique et pratique de socialisme, feiix alcan, Paris 1892, p 25.

19 Ibid, p. 24.

٢٠ ماريا لويزا برنيري، المرجع نفسه، ص ١٣٠

٢١ المرجع نفسه، ص:١٣٠

22 Léon Blanchet, Campanella, librairie Félix Alcan, PARIS, 1920, p. 500.

23 Janet, Paul,Histoire de la Science Politique, Tome second, librairie philosophique de ladrange, 2 edition, Paris, 1872, p. 257.

٢٤ ول ديورانت، المرجع نفسه، ص٣٠٢

٢٥ عطيات أبو السعود، المرجع نفسه، ص:١٣٢